أوزان البحور

١- مقدمة

٢- البحر الأول - بحر الطويل.

مقدمة

أشرنا سابقًا إلى أن الخليل بن أحمد وضع خمسة عشر بحرًا وأن تلميذه الأخفش زاد عليها بحرًا سماه «المتدارك» وبذلك أصبح مجموع البحور ستة عشر بحرًا.

وبعض هذه البحور كما ذكرنا من قبل تشترك تفعيلاتها في عدد المقاطع بحيث إذا قدمنا مقطعًا متأخرًا أو أخرنا مقطعًا متقدمًا تولد عن ذلك البحر المماثل.

فالتفعيلة «**فعولن**» - مثلاً - مكونة من وتد مجموع فسبب خفيف، فإذا تكررت ثماني مرات فإنه ينتج عنها بحر «**المتقارب**»، أما إذا قدمنا السبب الخفيف على الوتد المجموع في التفعيلة ذاتها فإن «**فعولن**» تصبح «**فاعلن**» وهذه إذا تكررت كذلك ثماني مرات فإنه يتولد عنها بحر «**المتدارك**».

وكذلك «**متفاعلن**» إذا عكست تصير «**مفاعلتن**» وتكون بتكرارها مع تفعيلة من نوع آخر بحرًا يسمى «**الوافر**» بينما تكرار «**متفاعلن**» ست مرات يولد بحرًا آخر هو «**الكامل**» وهكذا..

وقد رتب العروضيون بحور الشعر الستة عشر على حسب اشتراك كل مجموعة منها في دائرة عروضية واحدة عل الوجه التالي:

١- الطويل، والمديد، والبسيط.

٢- الوافر، والكامل.

٣- الهزج، والرجز، والرمل.

٤- السريع، والمنسرح، والخفيف، والمضارع، والمقتضب، والمجتث.

٥- المتقارب، والمتدارك.

وهذا الترتيب كما ذكرت هو بحسب اشتراك كل مجموعة من البحور في دائرة عروضية لا بحسب كثرة استعمالها أو قلة استعمالها، وسوف نفصّل الكلام عن الدائرة العروضية فيما بعد.

أجزاء البيت:

ينقسم البيت الشعري إلى قسمين متساويين من حيث النغم والقياس والموسيقى، ويعرف كل قسم بالمصراع تشبيهًا بمصراعى الباب، أو بالشطر، فيقال:

الشطر الأول أو الثاني، كما يقال المصراع الأول أو الثاني من البيت.

التفعيلة الأخيرة:

ولما كان للتفعيلة الأخيرة من كل شطر أهمية خاصة فقد انفردت بتسمية خاصة فالتفعيلة التي في آخر الشطر الأول من البيت تسمى «**العروض**» بفتح العين، والتفعيلة التي في آخر الشطر الثاني تسمى «**الضرب**» وما عدا ذلك من تفاعيل البيت يسمى «**الحشو**» هكذا:

فعولن مفاعيلن	فعولن	مفاعلن	فعولن مفاعيلن	فعولن مفاعلن
حشـــو	عروض	حشـــو		ضرب

وكل بحر من بحور الشعر له نظام خاص في التغييرات التي تدخل على الحشو وعلى العروض أو على الضرب، وسنوضح ذلك عند الكلام على وزن كل بحر.

* * *

البحر الأول «الطويل»

١- وزنه:

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

٢- عروضه:

عروض هذا البحر، أي تفعيلته التي تقع في آخر الشطر الأول من البيت، لا تستعمل تامة، بل يحذف منها الحرف الخامس، أي الياء الساكنة فتصبح «مفاعيلن» «مفاعلن».

وحذف الخامس الساكن له في العروض اسم اصطلاحي هو «القبض» وتسمى التفعيلة التي فيها القبض «مقبوضة».

٣- ضربه:

وضرب هذا البحر، أي تفعيلته التي تقع في آخر الشطر الثاني من البيت قد يكون مقبوضًا في قصيدة أو غير مقبوض في أخرى.

وإذا جاء البيت الأول من القصيدة مقبوض العروض والضرب معًا لزم أن يستمر ذلك في بقية أبياتها.

٤- حشو البيت:

عرفنا أن الحشو هو جميع تفعيلات البيت ما عدا تفعيلة العروض وتفعيلة الضرب.

وحشو البيت في بحر الطويل يحدث فيه تغيير اختياري بحذف النون الساكنة من «فعولن» الأولى أو الثالثة أو الخامسة أو السابعة في ترتيب التفاعيل، وبذلك تصبح «فعولن» «فعولُ» بلام متحركة أي بحذف الخامس الساكن: فتكون مقبوضة أيضًا.

وهذا التغيير غير لازم، فإذا ورد التغيير في «فعولن» الأولى فلا يلزم في غيرها من بقية البيت، كما أن قبض «فعولن» في حشو بيتٍ ما لا يستدعي قبضها في حشو بقية الأبيات.

ويجب التنبيه على أن هناك فرقًا من جهة التسمية بين التغيير الذي يحدث في الحشو والتغيير الذي يحدث في العروض والضرب.

فالتغيير الذي يحدث في الحشو يسمى «الزحاف» أما التغيير الذي يحدث في العروض والضرب فيسمى «العلة»، وهو تغيير يُلتزم.

وكما يكون الزحاف والعلة في بحر الطويل يكونان كذلك في غيره من البحور، ولكن ينبغي أن نتذكر أن لكل بحر زحافًا خاصًا وعلة خاصة.

عروض الطويل وضربه:

عروض الطويل تأتي مقبوضة دائمًا.

اما ضربه فياتي على ثلاثة انواع:

١- مقبوضًا كذلك، أي بحذف الخامس الساكن لتصير «مفاعيلن» «مفاعلن».

٢- أو محذوفًا، أي بحذف السبب الأخير من «مفاعيلن» لتصير «مفاعي» وتحول إلى «مفاعلْ» بسكون اللام تسهيلاً للنطق، أو «فعولن».

٣- أو صحيحًا «مفاعيلن».

وعلى هذا يكون نظام البحر الطويل على الوجه التالي:

(١) ---	مفاعلن	أ.---	مفاعلن أ
(٢) ---	مفاعلن	أ.---	مفاعلْ ب
(٣) ---	مفاعلن	أ.---	مفاعيلن جـ

مثال النوع الأول: من معلقة زهير:

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه وإن يرق أسباب السماء بسلم

ومن ها	بأسبا بل	منـــايـــا	ينلنهو
//٥/٥	//٥/٥/٥	٥ / ٥ / /	//٥/٥
فعولن	مفاعيلن	فـعـولـن	مفاعلن

وإن يرَ	قأسبابس	ســـمـــاء	بسللمى
٥//٥/	٥//٥/٥	/ ٥ / /	٥//٥//
فعولن	مفاعيلن	فـــعـــولُ	مفاعلن

ومن ذلك نلاحظ أن عروض هذا البيت هي «**مفاعلن**» وضربه كذلك وهكذا يسير زهير في جميع أبيات معلقته من أولها إلى آخرها.

أما حشو البيت فنجد أن إحدى تفعيلاته وهي السابعة (فعولن) دخلها القبض فحولت إلى «**فعولُ**» بتحريك اللام وهذا غير لازم.

النوع الثاني: وهو ما عروضه مقبوضة وضربه محذوف أي (مفاعل) بسكون اللام.

وقد افترض العروضيون أن أصل الضرب «**مفاعيلن**» فحذف من التفعيلة الأخيرة، أي تفعيلة الضرب السبب الخفيف من آخرها فصارت «**مفاعي**» ولسهولة النطق بها تحولت إلى «**مفاعلْ**» بسكون اللام أي تفعيلة خماسية.

وهذا الضرب يسمى «**محذوفًا**» لحذف السبب الأخير من تفعيلته. ومثال هذا النوع قول أبي نواس في مدح الخصيب أمير مصر:

تقول التي من بيتها خف محملي	عزيز علينا أن نراك تسيرُ
أما دون مصرٍ للغنى متطلب	بلى إن أسباب الغنى لكثير
فقلتُ لها واستعجلتها بوادر	جَرَتْ فجرى في جريهنّ عبير
ذريني أُكْثر حاسديك برحلة	إلى بلد فيه الخصيب أمير
فتى يشتري حسن الثناء بماله	ويعلم أن الدائرات تدور
فما جازه جود ولا حل دونه	ولكن يسير الجود حيث يسير

فتقطيع البيت الأول هكذا:

تقوللْ لتي من بيتها خف فمحملي	عزيزن علينا أن نراك تسيرو.
فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن	فعولن مفاعيلن فعولُ مفاعلْ.

فالتفعيلة الأخيرة من الشطر الثاني أي الضرب محذوفة.

ومثال آخر قول مسكين الدارمي عندما أوعز إليه معاوية أن يقترح البيعة من بعده لابنه يزيد ليعلم رأي قومه في ذلك:

ألا ليت شعري ما يقول ابن عامر ومروان أم ماذا يقول سعيد؟
بني خلفاء الله مهلاً فإنما يبوّئها الرحمن حيث يريد
إذا المنبر الغربي خلّاه ربُّه فإن أمير المؤمنين يزيد

فتقطيع البيت الأول هكذا:

ألالي	تشعري ما	يـقـولـنْ	نُعامرن
فعولن	مفاعيلن	فـعـولـن	مفاعلن
ومروا	نُـأمْ مَـاذا	يـقـول	سعيدو
فعولن	مفاعيلن	فـعـول	مفاعلْ

النوع الثالث: ما كانت عروضه مقبوضة وضربه صحيحًا أي «مفاعيلن» كقول الحطيئة في المدح:

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا
وإن كانت النعماء فيهم جزَوا بها وإن أنعموا لا كدَروها ولا كدّوا
مطاعين في الهيجا مكاشيف للدجى بنى لهمُ آباؤهم وبنى الجَد
ويعذلني أبناءُ سعدٍ عليهم وما قلت إلا بالذي علمت سعد

فتقطيع البيت الأول هكذا:

ألاء	كقومن إن	بـنـو أح	سنلبنا
فعول	مفاعيلن	فـعـولـن	مفاعلن
وإن عا	هدو أوْفَوْ	وإن ع	قدو شددو
فعولن	مفاعيلن	فـعـول	مفاعيلن

فالعروض مقبوضة والضرب هنا صحيح وكذلك في بقية الأبيات الأخرى.

والخلاصة:

١- إن عروض الطويل «مفاعلن».

٢- **أما الضرب فهو:** أ - مفاعلن ب - مفاعلْ بسكون اللام جـ - مفاعيلن.

فإذا رمزنا إلى العروض بالرمز «أ» أيضًا كان نظام قصائد الطويل كما يلي:

١- **قصيدة فيها الوضع هكذا:**

- - - - أ - - - أ

- - - - أ - - - أ

أي مفاعلن في العروض ومفاعلن في الضرب حتى نهاية القصيدة.

٢- وقصيدة أخرى تكون العروض مفاعلن أي (أ) والضرب مفاعلْ أي (ب) فيكون نظامها كالآتي:

- - - أ - - - ب

- - - أ - - - ب حتى نهاية القصيدة.

٣- وقصيدة ثالثة تكون العروض مفاعلن أي (أ) والضرب «مفاعيلن» أي (جـ) فيكون نظامها هكذا.

- - - أ - - - - جـ

- - - أ - - - - جـ حتى نهاية القصيدة

والخطوط الأفقية تمثل حشو البيت.

التصريع:

والتصريع هو أن يجانس الشاعر بين شطري البيت الواحد في مطلع القصيدة أي يجعل العروض مشبهًا للضرب وزنًا وقافية.

ويحدث في النوع الثاني الذي ضربه (مفاعلْ) أي (ب) وفي النوع الثالث الذي ضربه (مفاعيلن) أي (جـ).

ومثال النوع الثاني مطلع القصيدة في الرثاء لشاعر معاصر:

أفيقوا وإن جلّ المصاب أفيقوا وصونوا عيونًا للدماء تريقُ
وقولوا: هنيئًا للألى وهبوا العلى نفوسًا إلى نيل المرام تتوقُ

وتقطيع الشطر الأول:

أفيقو وإن جَلْلَلْ مصاب أفيقو
فعولن مفاعيلن فعول مفاعلْ (بسكون اللام)

وتقطيع الشطر الثاني:

وصونو عيوننلد دماء تريقو
فعولن مفاعيلن فعولُ مفاعلْ (بسكون اللام)

فآخر القصيدة (مفاعلْ) أي (ب) في الضرب، أما العروض فيكون آخر الشطر الأول فقط (ب) أما في الأبيات التي تلي المطلع فتعود فيها العروض إلى (مفاعلن) أي (أ) فيكون نظام القصيدة هذا:

- - - ب - - - ب

- - - أ - - - ب

- - - أ - - - ب إلى نهاية القصيدة

وأحيانًا يكون التصريع في النوع الثالث، ومثاله مطلع قصيدة في وصف الربيع لشاعر معاصر:

إلى الشاعر الظمآن يا موجة النهر إلى الشاعر المكدود يا نسمة العصر
إلى شاطئ ألقت إليه قيادها سفائن قد ملّت مجاهدة السير

وتقطيع الشطر الأول هكذا:

إلششا	عر ظظمأا	نـــيـــامـــو	جتننهري
فعولن	مفاعيلن	فـــعـــولـــن	مفاعيلن
إلششا	عرلمكدو	ديـــانـــس	متلعصري

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

فالعروض فيه (مفاعيلن) أي (جـ) والضرب كذلك (مفاعيلن) أي (جـ) فيكون نظام القصيدة المصرعة التي من هذا النوع هكذا:

- - - جـ - - - جـ

- - - أ - - - جـ

- - - أ - - - جـ حتى نهاية القصيدة.

والتصريع كما يكون في بحر الطويل يكون في غيره من البحور. والأصل في التصريع أن يكون في البيت الأول من القصيدة، ولكن الشاعر أحيانًا يقسم قصيدته فقرات حسب الموضوع أو الفكرة، فيبدأ الموضوع أو الفكرة الجديدة ببيت مصرَّع كأنما اعتبر الموضوع الجديد أو الفكرة الجديدة قصيدة جديدة، وكل هذا بشرط اتحاد البحر والقافية، وإلا كانت قصيدة جديدة.

حشو الطويل:

والمشهور في حشو الطويل أن يدخله زحاف القبض وهو حذف الخامس الساكن فتصبح (فعولن) «فعول» و (مفاعيلن) «مفاعلن»، كما عرفنا من تقطيع الأمثلة السابقة

علامات الضرب الطويل:

ويمكننا أن نميز أضرب الطويل بعضها من بعض بعلامات منها:

١- **إذا كانت القافية مردفة:** أي يوجد حرف مد قبل حرف القافية في آخر البيت كان الضرب بوزن (مفاعلْ) بسكون اللام، مثل:

ويعلم أنّ الدائرات تدورُ
فإن أمير المؤمنين يزيدُ
وكل الذي فوق التراب ترابُ

ب- وإذا كانت الكلمة الأخيرة في البيت غير مردفة، أي إذا كان حرف القافية قبله حرف صحيح ساكن فإن الضرب يكون بوزن (مفاعيلن) مثل:

إلى الشاعر المكدود يا نسمة العصر
لينطق بالسحر المبين من الشعر

جـ- وإذا كان حرف القافية قبله حرف متحرك فإن الضرب يكون على وزن (مفاعلن) مثل:

وإنك كالليل الذي هو مدركي وإِن خلت أن المنتأى عنك واسعُ

* * *

تدريبات على بحر الطويل

التدريب الأول:

الأبيات التالية من الطويل، والعروض فيها مقبوضة، والضرب إما تام أو مقبوض أو محذوف. اكتب هذه الأبيات كتابة عروضية، وضع تفاعيلها تحتها، واذكر نوع الزحاف الذي دخل على بعض تفاعيلها:

١- عفَا الله عن ليلى الغداةَ فإنها إذا وَلِيتْ حُكمًا علي تجورُ
٢- أبا مُنذرٍ أفنَيتَ فاستَبق بعضَنا حَنانيْكَ بعضُ الشرّ أهونُ من بعضِ
٣- إذا حلّ في أرضٍ بناها مدائنًا وإنْ حَل عن أرضٍ ثَوتْ وهيَ بلقعُ
٤- وقائلة: ماذا دهاكَ - تعجبًا فقلتُ لها: يا هذِه أنتِ والدهرُ!
٥- لعَمرُكَ ما الأبصار تنفع أهلها إذا لم يكن للمبصرين بصائرُ
٦- أتتركُ إتيانَ الزيارةِ عامدًا وأنتَ عليها، لو تشاء، قديرُ؟

التدريب الثاني:

اكتب الأبيات التالية كتابة عروضية، وبين نوع العروض والضرب وكذلك نوع الزحاف في كل منها:

١- ونحن أناسٌ لا تَوَسط عندنا لنا الصدر دون العَالَمِين أو القبرُ
٢- ومن مذهبي حُبّ الديار لأهلها وللناس فيما يعشقون مذاهبُ
٣- وداع دعاني، والأسِنّة دُونَهُ صَبَبْتُ عليه بالجواب جوادي
٤- رَضيتُ لنفسي كان غيرَ موفقٍ ولم ترضَ نفسي كان غيرَ نجيبِ
٥- ذريني فإنّ البخلَ لا يُخلد الفتى ولا يُهلك المعروفُ من هو فاعلُهْ
٦- سآتي جميلًا ما حَييتُ فإنني إذا لم أُفدْ شُكرًا، أفدتُ به أجْرا

التدريب الثالث:

الأبيات التالية من بحور مختلفة. عيِّن منها الأبيات التي من بحر الطويل، وبين نوع العروض والضرب في كل منها:

١- وما نيل المطالب بالتمني ولكن تُؤخذ الدنيا غلابا
٢- فيا لَك مِن ليل تقاصر طوله ولم يكُ ليلي قبل ذلك يَقصُرْ
٣- سعادةُ المرءِ في السَّراء إن رجحت والعدلُ أن يتساوى الهمّ والجذل
٤- أتترك إتيانَ الزيارةِ عامدًا وأنتَ عليها - لو تشاء - قديرُ؟
٥- ومن الذي أوحى إليك بأنني في التيه مضطرب بغير دليل؟
٦- وما نِعمةٌ مشكورةٌ قد صنعتها إلى غيرِ ذي شكرٍ بمانعةٍ أخرى

* * *